تاريخ النمو الحضري لمدينة كوستي بالسودان

أ.د.عبد الرحمن محمد الحسن
أستاذ مشارك بقسم الجغرافيا
عميد الشئون العلمية
جامعة بخت الرضا - جمهورية السودان

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد الرحمن محمد الحسن ، تاريخ النمو الحضري لمدينة كوستي بالسودان.- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع عشر ؛ ديسمبر ٢٠١١. ص ٨ – ١٢. (www.historicalkan.co.nr)

ملخص

تبحث هذه الدراسة في تاريخ النمو الحضري بمدينة كوستي في ولاية النيل الأبيض بجمهورية السودان ، وقد هدفت إلى تتبع تاريخ نشأتها وأصل تسمية المدينة ، وتاريخ ومراحل النمو الحضري بها ، وأهم وظائف هذه المدينة ، ودور موقع المدينة في تطورها ونموها. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان من أهمها وجود تطور تاريخي لنمو مدينة كوستي وهو يختلف من فترة تاريخية إلى أخري ، كما توصلت إلى تنوع وظائف المدينة.

مقدمة

المدينة ليست ظاهرة حديثة بل ترجع في نشأتها إلى عهود بعيدة ، ارتبطت باستيطان الإنسان في مناطق السهول الفيضية الزراعية في الشرق الأوسط. وقد نمت المدن نموًا سريعًا تبعًا لنمو السكان ، فجذبت عملية التحضر في ربع القرن الأخير اهتمام جمهرة من العلماء الاجتماعيين والمتخصصين في الدراسات الديموغرافية على وجه الخصوص. ويعزى هذا الاهتمام إلى السرعة المذهلة في معدلات النمو الحضري في أغلب أقطار عالم اليوم بعامة وفى الأقطار النامية بخاصة. وشهد القرن العشرون نموًا مطردًا في المدن ، وذلك بزيادة عدد سكانها وتوسع عمرانها ، إضافة إلى أعداد المدن نفسها. وفى السنوات الأخيرة تسارع نمو سكان المدن بأكثر من ضعف معدلات نمو سكان الريف في العالم ، فقد أصبح سكان المدن يزيدون بمعدلات تفوق كثيرًا معدلات النمو السكاني العالمي ، وقد قدر عدد سكان الحضر في بداية القرن التاسع عشر بنحو (٢٢) مليون نسمة فقط ، أي بنسبة وصلت إلى نحو ٣% من سكان العالم آنذاك ، وارتفعت النسبة إلى ١٣% في سنة ١٩٠٠ من إجمالي سكان العالم البالغ عددهم (١,٧) بليون نسمة.[١] وارتفع ذلك الرقم إلى (٧٠٠) مليون نسمة في منتصف القرن العشرين بنسبة وصلت إلى ٢٨% من سكان العالم.[٢] السودان كغيره من الدول النامية ازداد فيه عدد السكان ، وهذا بدوره أدى إلى زيادة عدد سكان الحضر ، فقد زادت أعداد المدن وزادت أحجامها ، والتي كان عددها في سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ ، (٦٨) مدينة ، ارتفع إلى (١١٠) مدينة سنة ١٩٨٣ بنسبة ٨,٣% و ١٧,٤% من مجموع سكان السودان.[٣] ومدينة كوستي بولاية النيل الأبيض هي احدي تلك المدن ، فكانت هذه الدراسة عن تاريخ نموها الحضري.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس: ما هو تاريخ النمو الحضري بمدينة كوستي؟ وتتفرع منه الأسئلة الآتية: هل هناك نمو حضري بالمدينة ؟ ما هي مراحله ؟

أهداف الدراسة

يهدف هذا البحث إلى:

١- تتبع نشأة واصل تسمية مدينة كوستي.
٢- التعرف علي تاريخ ومراحل نمو المدينة.
٣- الوقوف علي أهم وظائف المدينة.

دورية إلكترونية.محكّمة.ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أهمية الدراسة

تنبع أهمية البحث من أهمية مدينة كوستي والتي تعتبر أكبر مدن ولاية النيل الأبيض ، ولربطها غرب وجنوب السودان بوسطه وشماله ، وكذلك لما تشكله الدراسة التاريخية للنمو الحضري للمدينة من أهمية في استشراف مستقبلها.

النشأة وأصل التسمية

النشأة تعني اختيارًا لموضع محدد وموقع أديا لقيام هذه المدن ، وتبع ذلك أثر في النمو الحضري بالمنطقة. تقع مدينة كوستي علي الضفة الغربية للنيل الأبيض علي بعد (٢٧٠) كيلو مترًا جنوب الخرطوم. وهذا الموقع علي الشاطئ قد اختاره تاجر يوناني من تجار زينوبه بالشاطئ الشرقي ، فقد باع الشيخ حماد ولد أم دودو زعيم الجمع قطعة الأرض الواقعة غربي زينوبة للخواجة (كوستي بابيس) وكان ذلك في حوالي سنة ١٩٠٠.[٤] فأقام بها حظيرة وراكوبة ليسهل علي منتجي الصمغ وبعض المحاصيل مشقة العبور إلى سوق زينوبة بأن يشتري منهم إنتاجهم في ذلك المكان ، فالصمغ العربي والمنتجات الزراعية الأخرى تأتي من المنطقة الغربية ومن المناطق الأخرى البعيدة ككردفان وغيرها.

ارتبط اسم كوستي في البداية باسم زينوبة المنشاوية ، وهي سيدة كانت تعمل في التجارة وصناعة المراكب في منطقة بين ربك والجزيرة أبا شرق كوستي ، وأخذت كوستي اسمها ، وكانوا يطلقون عليها اسم (غرب زينوبة). ثم أخذت المدينة اسمًا جديدًا وهو الاسم الرسمي الذي أطلقته عليها السلطات فكانت تسمي (مركز جديد) حتى بعد انتقال الإغريقي كوستا إلى المنطقة في أوائل القرن العشرين. وقد أخذت المدينة رسميًا اسم كوستي واختفت كافة الأسماء التي أطلقت عليها وذلك بالتحديد سنة ١٩١٠.[٥]

تعتبر مدينة كوستي — مع ضخامتها وأهميتها — أحدث مدن النيل الأبيض إذ أنها نشأت في مستهل القرن العشرين أو بحساب أدق في سنة ١٩٠٢ ،[٦] وهذا ما أكده نصر الدين شلقامي (١٩٩١) في كتابه كوستي القصة والتاريخ ، حيث ذكر أن نشأة مدينة كوستي الحديثة كما تقول الأوراق الرسمية في مطلع هذا القرن سنة ١٩٠٢.

كان تدرج كوستي في النمو بطيئًا وعاديًا وتجارتها محلية في التوزيع ، وفجأة وفي سنة ١٩١١ شيدت حكومة الحكم الثنائي (الكوبري) ومدت السكة الحديد من سنار في طريقها للأبيض فانتعشت كوستي بسرعة للانقلاب التجاري الذي حدث ، لأن التجارة الواسعة التي كانت تمارس في الدويم باعتبارها الميناء النهري للطريق البرى لكردفان فدارفور وبحر الغزال قد تحولت تلقائيًا إلى كوستي التي ربط الخط الحديدي بينها وبين كردفان والخرطوم ذلك لأن نقل البضائع على عربات السكة الحديد أسرع وأضمن وأوفر من حيث النفقة. وانقلب المركز الذي لم يرتفع عن مستوي قرية قبل الخط الحديدي إلى مركز تجاري توافد إليه العاملون في الحقل التجاري من كل مكان ، وتدفقت إليه رؤوس الأموال المحلية لأنه صار نقطة التقاء مواصلات بين الشرق والغرب والشمال والجنوب بالبواخر النهرية.[٧]

مما سبق يتضح ؛ أن كوستي أخذت سمات المدينة بعامل (الكوبري القديم) وخط السكة الحديد ، وهذا ما أكده يعقوب عبد الله محمد حسبما أورده شلقامي[٨]: أن مدينة كوستي تعتبر من المدن الجديدة إذ بدأت تأخذ سمات المدن بعد سنة ١٩٠٩/١٩١٠ عندما امتد إليها خط السكة الحديد وبناء كوبري كوستي القديم. هذا الحدث الهام جعل من كوستي مركزًا تجاريًا وإداريًا جذب إليها السكان من مختلف بقاع القطر وخاصة من الشمالية.

حركة بناء الكوبري الجديد قد جلبت لكوستي حركة عمال منظمة تمثلت في المهندسين والفنيين وجنود (الرديف)* وهم الجنود الذين سرحهم الجيش وأراد أن يحتفظ بهم في الاستيداع للطوارئ علي أن تضمهم منطقة واحدة للاستفادة من تدريبهم السابق إذا دعا الداعي لذلك ، فأرسلوا للعمل في الكوبري والإقامة بكوستي وحواليها ومعهم بعض الضباط المسئولين عنهم ، فكانوا هم النواة الجماعية الأولي لسكان مدينة كوستي لأن السكان الأصليين من سكان المنطقة مثل: العبيساب ، ودغيم وغيرهم كانوا يسكنون قراهم العريقة علي أبعاد من تخطيط مدينة كوستي.[٩] كل ذلك أدى إلى نهضة المنطقة وزيادة عدد السكان ، وظهرت بعض الحرف والنشاطات المختلفة تبعًا لذلك مما أدي إلى ظهور حياة المدينة ومظاهر التحضر في المنطقة. وعندما تم تقسيم السودان سنة ١٩٩٠ إلى (٢٦) ولاية ، اعتبرت منطقة النيل الأبيض واحدة من تلك الولايات وقسمت إلى أربع محافظات ، منها محافظة كوستي والتي تعتبر مدينة كوستي مقرًا لها.

الموقع

تعتمد حياة المدينة على عامل الموقع ، ومواقع المدن يتم اختيارها بعناية ولأسباب خاصة بالسكان الأوائل ، وذلك لأن (المواقع هي الأماكن الحرجة والنقط الحساسة الحيوية على نقطة الأرض بمعناها الطبيعي والبشرى وهى عملية انتخابية دقيقة.[١٠] ويختار المكان تبعًا لمواصفات يحددها الإنسان بغرض تحقيق رغباته ، ويرى ابن خلدون في مقدمته[١١] أن هناك عدة عناصر على الإنسان أن يضعها في اعتباره عند تخير المكان بغرض الاستقرار وأهم هذه العناصر:

١- أن يوفر المكان التهوية الكافية.
٢- أن تتوفر المياه العذبة.
٣- أن تتوافر المراعى.
٤- أن تتوافر فيه متطلبات الزراعة.
٥- أن تتوافر الأشجار التي توفر مواد البناء والوقود وصناعة الأخشاب.
٦- أن يوفر المكان الحماية.

الموقع يحدد كثافة الطرق وشرايين النقل بين المدينة وظهيرها وبين المدينة والمدينة الأخرى. ويمكن تحديد نوعين من المواقع: أولها مواقع المدن بالنسبة لأقاليمها الإدارية ومدى توسطها لإطاراتها المساحية ، والنوع الثاني من المواقع هو درجة ارتباط هذه المدن بالأجزاء المعمورة ومناطق الثروة الطبيعية والاقتصادية بالإقليم الإداري بوسائل وشبكات نقلية مختلفة. والنوع الأول من المواقع له أهميته في حالة تجانس الإقليم الإداري سكانًا وعمرانًا وموارد ، ويفتقد أهميته وتتزايد فعالية النوع الثاني من المواقع في الأقاليم المتباينة وغير المستقلة في توزيع سكانها ومواردها الطبيعية والاقتصادية.[١٢]

تقع مدينة كوستي بين خط الطول (٤٠ ′ ٣٢°) شرقًا ، ودائرة العرض (١٠ ′ ١٣°) شمالاً. وتحتل جزءًا كبيرًا من السهل الفيضي للنيل الأبيض ، ولهذا فإن المنطقة حول المدينة أرض منبسطة عدا

* أخذ اسم الرديف من اختصار (R. D. F.) Retired Defence Force

القليل من التلال الرملية (القوز). وارتفاع الأرض عبارة عن أمتار قليلة فوق مستوي الفيضان (حوالي ٣٧١ مترًا فوق سطح الأرض).[١٣] وقد جعلها موقعها علي شاطئ النيل الأبيض خير مكان لإقامة الميناء النهري وهو الميناء الأول في السودان. وقد كان مرفأ البواخر النيلية في السابق - كما ذكر - في موقع يسمي زينوبة وهي شرق كوستي ، وفيما بعد اتضح أن المرفأ الغربي أكثر ملائمة لقيام الميناء ،[١٤] فانتقل الميناء ونشطت المنطقة بالحركة وتحول إليها بعض التجار وشيدت حولها المنازل ، كل ذلك جعل لموضع المدينة وموقعها أهمية ساهمت في نشأتها ونموها.

مورفولوجية مدينة كوستي

تعد دراسة مورفولوجية المدن وتركيبها الوظيفي من الموضوعات الأساسية في كل دراسة جغرافية للمدن ، وسيتم تناول الشكل والخطة ، ونمو العمران ، والتركيب الوظيفي (استخدام الأرض) بوصفها عناصر أساسية في دراسة مورفولوجية منطقة الدراسة.

١- الشكل والخطة:

تتأثر الكتلة المبنية بالموضع الذي تقوم عليه المدينة ، ففي مدينة كوستي يلاحظ أن النواة القديمة كانت علي ضفة النيل الأبيض في حي فلاته والمرابيع بالقرب من السوق. ولكن بعد أن غمرت المياه تلك الأراضي عند قيام خزان جبل الأولياء تم ترحيل الأحياء القديمة وبدأت تنمو المدينة في اتجاه السكة الحديد وشمالها وجنوبها ، وزحفت المباني علي الأراضي المحيطة ، وبدأت الامتدادات العمرانية الحديثة علي أطراف الكتلة القديمة. حيث زحفت المباني في اتجاه الغرب وكذلك توسعت شمالاً وجنوبًا ، فأخذت الشكل الطولي الذي يمتد شمالاً وجنوبًا مع محاذاة النيل الأبيض.

أما عن الخطة فيتضح أن مدينة كوستي كانت بدايتها الأولي خطتها شبه إشعاعية ثم أخذت الخطة الشبكية تسيطر وذلك لأن هذا النوع من الخطط سهل التطبيق وقليل التكلفة المالية ، ويؤخذ به في المدن المتوسطة خاصةً في الدول النامية ،[١٥] ويوفر هذا النوع من الخطط الشوارع العريضة الواسعة المستقيمة التي تتقاطع عموديًا وتكون موازية للشوارع الأخرى مما يعطي الفرصة لتهوية المنازل ، وإلى توزيع أعمدة الكهرباء ، ومواسير المياه ، وتصريف مياه الأمطار. ويتلاءم نظام التخطيط الشبكي مع الظروف الاجتماعية ، لان أبواب المنازل تفتح مباشرة على الشوارع الرئيسية.[١٦]

٢- نمو العمران في مدينة كوستي:

تنمو المدن باعتبارها تجمعات بشرية عضوية وظيفية نتيجة قوي معينة ، هي في طبيعتها قوي اقتصادية واجتماعية وثقافية وإدارية ، وتنبثق هذه القوي من داخل المدينة وخارجها.[١٧] ويعد تغيير الوظائف من أهم العوامل التي تؤثر في نمو المدينة[١٨] وهذا ما نلاحظه في مدينة كوستي.

نشأ أول حي للسكن في المدينة وسمي بحي (فلاته) وأخذ هذا الاسم من قبائل الفلاته التي بنت رواكيب في نهاية الحي[١٩] وقد سكن هذا الحي باشاوات من المصريين ، وبعض القبائل من الكنوز والشلالية ومكانة المنطقة الممتدة شمال دار الرياضة الحالية شمال السكة الحديد. وقد انحصر السكن في تلك الفترة في السوق وحي فلاتة. ثم نشأ حي المربعات وهو يقع غرب السكة الحديد وتمدد غربًا حتى توقف بسبب القوز والرمال. ثم نشأ حي عشماوي (مكان السوق الحالي) وهو امتداد شمالي غربي لحي المربعات. ثم قامت حلة صابون شمال خط السكة الحديد وشارع الدويم والتي أصبحت فيما بعد نواة للحلة الجديدة. وفي سنة ١٩٣٨ تم أنشاء خزان جبل الأولياء والذي غمر جزءًا كبيرًا من أراضي مدينة كوستي ، فرحل السوق وحي عشماوي وفلاتة وصابون. وتم تخطيط السوق في مكانه الحالي ، كما تم تخطيط الحلة الجديدة شمال خط السكة الحديد ، وامتدت في (٣٦٠٠) مربوع من شارع الدويم الحالي.[٢٠] ومن ذلك يتضح أن نواة المدينة الأولي كانت شمال وجنوب خط السكة الحديد بالقرب من النيل الأبيض وبدأ التمدد غربًا.

في الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٠ تم تخطيط المنطقة الصناعية الجديدة والتي امتدت جنوب الدرجة الأولي ومربعات (٧ ، ٨ ، ٢٤). وفي الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٨٠ تمددت المدينة وفق خطة إسكانية تم التقديم لها سنة ١٩٧٣ وتم تنفيذها سنة ١٩٧٦ ، فتم توزيع مربعات (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣أ ، ٣٣ ب ، ٣٤ ، ٣٥) وهي تعتبر خطة كبيرة وإضافة مساحة واسعة لرقعة المدينة وكانت امتداداً لتمدد المدينة غرباً شمال وجنوب السكة الحديد. وفي الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠ تم تنفيذ الخطة الإسكانية التي تم التقديم لها سنة ١٩٨٤ وكان ذلك في سنة ١٩٨٩ وشملت كل التعويضات بالإضافة إلى أبو شريف وهي مربعات (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦). وهي أيضًا تمددت غربًا من الامتداد السابق للفترة قبل ١٩٨٠ شمال وجنوب خط السكة الحديد ، وهناك امتداد آخر جنوب طريق كوستي الأبيض المسفلت. وفي الفترة من ١٩٩٠ – ٢٠٠١ تم تنفيذ تخطيط أبو شريف (١ ، ٢ ، ٣) والإنقاذ (١ ، ٢ ، ٣) ومربعات الاستبدال (٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١) وهي قد تركزت في أقصي غرب المدينة شمال وجنوب خط السكة الحديد.

مما سبق يتضح ؛ أن تمدد مدينة كوستي بدأ من النواة الأولي التي تقع غرب النيل الأبيض شمال وجنوب خط السكة الحديد ، فيشير ذلك إلى أن تمدد المدينة قد تأثر بثلاثة عوامل أساسية هي:

أولاً: النيل الأبيض ، وقد تمددت المدينة شمالاً وجنوبًا مع محاذاته.

ثانيًا: السكة الحديد ، وهي لعبت دورًا كبيرًا في تمدد المدينة غربًا ، وقد كان ذلك شمال وجنوب السكة الحديد.

ثالثاً: الطريق المسفلت كوستي الأبيض ، والذي ساهم في تمدد المدينة جنوبًا ، شمال وجنوب الطريق.

فهذه العوامل لعبت دورها بالتقادم فيلاحظ أن البداية كانت بالقرب من النيل الأبيض ، ثم جاء دور السكة الحديد ، ومؤخرًا الطريق المسفلت والذي ساهم في زيادة أكبر المساحات التي تم التمدد فيها في الفترات الأخيرة جنوب المدينة ، والذي يشكل مع السكة الحديد في منطقة الالتقاء تمدد المدينة غربًا.

٣- التركيب الوظيفي:

تكاد المناطق المختلفة التي تميز استخدام الأرض في مدينة كوستي أن توجد في كل المدن ، ولكن الاختلاف الوحيد في حجم هذه المناطق التي تكبر أو تصغر حسب عدد السكان الذي يؤثر في اتساع المناطق السكنية والمناطق الأخرى التي ترتبط بها لمواجهة متطلبات السكان. وتنحصر مناطق استخدام الأرض في مدينة كوستي في وظائف رئيسية هي السكنية ، والتجارية والصناعية والإدارية وغيرها من الوظائف. وسنتناول بعضًا منها بالتفصيل:

دورية إلكترونية محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(أ) الوظيفة السكنية:

من خلال التوزيع الجغرافي للمباني المستغلة في الوظيفة السكنية في مدينة كوستي يلاحظ التداخل في بعض الأحيان بين السكن والوظائف الأخرى، خاصةً في الأحياء التي تقع بالقرب من الأسواق. وفي الطرق الرئيسية التي تصبح واجهات المساكن في كثير من الأحيان محلات تجارية كما في طريق المرور السريع كوستي الأبيض وطريق المستشفي وغيرها من الطرق. وبصفة عامة؛ تعد الوظيفة السكنية من الوظائف الرئيسية لأي مدينة، ولذلك تشغل المساكن الجزء الأكبر من رقعة المدينة المبنية[٢١] كما هو الحال في مدينة كوستي، وتتوزع المناطق السكنية فيها إلى أربع درجات، تختلف منازل كل منها في مساحاتها ومواد البناء المستخدمة فيها ونوع الخدمات التي تتمتع بها. وتقل أهمية المنطقة السكنية في مدينة كوستي كلما ابتعدنا عن منطقة الأعمال المركزية التي تضم المناطق الإدارية والتجارية، أو كلما بعدنا عن النيل الأبيض شرقًا أو غربًا، وهذا عكس ما جاءت به نظريات التركيب الوظيفي لبرجس وهومر هويت.

(ب) الوظيفة التجارية:

تتركز الاستخدامات التجارية في أماكن الأسواق والشوارع الرئيسية في منطقة الدراسة، حيث تشغل الاستخدامات التجارية أفضل المواقع في المدن وخاصةً تلك التي تحقق أكبر عائد.[٢٢] وتشكل الأسواق التجارية الرئيسية فيها مركزًا للمدينة، وتعتبر جزءًا مهمًا في منطقة الأعمال المركزية مع المناطق الإدارية. فالسوق الرئيسي في مدينة كوستي يقع في أهم مناطق المدينة وهي منطقة السكة الحديد، وأهم ما يميزه تجارة الجملة والقطاعي خاصةً المواد الغذائية بالإضافة للمطاعم والمكاتب التجارية. كما يوجد في المدينة السوق الشعبي والذي يتوسطها الآن قرب السكة الحديد، وهو تتجمع فيه بجانب الأعمال التجارية أماكن المواصلات والنقل الداخلي والخارجي. هذا إلى جانب وجود بعض الأسواق الصغيرة في الأحياء والامتدادات السكنية الجديدة، وذلك لخدمة السكان في تلك المناطق نظرًا لبعدها عن السوق الرئيس.

(ج) الوظيفة الصناعية:

تشغل المناطق الصناعية أجزاء صغيرة من بين استخدامات الأرض في منطقة الدراسة. وكانت في الماضي ترتبط بمنطقة الأعمال المركزية، ولكنها تحولت إلى المناطق الخارجية بعد توسع المدينة، ورغمًا عن ذلك نجدها الآن قد أصبحت وسط الأحياء السكنية نسبة للتمدد الحضري السريع. تقع مناطق الصناعات في كوستي في الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة مع مدخل الكوبري محصورة بين السكة الحديد وطريق كوستي الأبيض المسفلت، وهذا الموقع يجعل المدينة تتأثر بهذه الصناعات التي تؤدي إلى تلوث الماء والهواء. فتلوث الماء يأتي نتيجة لوقوعها علي شاطئ النيل الأبيض، أما تلوث الهواء فلوقوعها في مهب الرياح الجنوبية التي تهب في الصيف مما يؤدي إلى تلوث هواء المدينة وتتأثر الأحياء السكنية والسكان بذلك. وكل ذلك قد أدي للتفكير في إنشاء المنطقة الصناعية الجديدة المقترحة والتي تقع في المنطقة الجنوبية الغربية للمدينة خارج نطاق الأحياء السكنية. وتتركز معظم الصناعات في الصناعات الغذائية كمعاصر الزيوت والحلويات والمواد النشوية والمطاحن والثلج والمياه الغازية. وتضم مدينة كوستي حوالي ٥٠% من جملة المصانع بالولاية، وهي صناعات مختلفة. وقد اختلطت الصناعات المختلفة مع بعضها جنبًا إلى جنب وأصبحت تُكوّن خليطًا من الصناعات معظمها صناعات خفيفة.[٢٣] وكان من نتائج منح أراضي واسعة لعدد من الصناعات أن بعضها لم تشتغل في أغراض الصناعة بل استخدمت في تخزين البضائع وحرم ذلك عدد من الصناعات الهامة التي يمكن قيامها في هذه المناطق.[٢٤]

(د) الوظائف الأخرى:

هناك عدد من استخدامات الأرض الأخرى في منطقة الدراسة، كالاستخدامات العسكرية والزراعية والخدمية وغيرها. فالمناطق العسكرية في مدينة كوستي تتركز في مدخل المدينة بالقرب من كوبري كوستي الجديد، ومنطقة أخري تقع غرب المنطقة الصناعية بين مربعات (٧ و ٨) شرقًا ومربع (٣٨) غربًا. وما زالت المناطق الزراعية تشكل نسبة كبيرة من مساحة استخدام الأرض في منطقة الدراسة، ولاسيما أنها نشأت في مناطق كانت أراضي زراعية في بدايتها وارتبط سكان القرى فيها بالإنتاج الزراعي، واستمرت هذه الحالة حتى الوقت الحاضر، حيث تحتل الأراضي الزراعية مناطق مهمة يقع جزء منها علي ضفاف النيل الأبيض في مدينة كوستي.

أما مناطق الخدمات العامة فهي تضم ثلاث مناطق رئيسية هي المناطق الإدارية والتعليمية والصحية، فالمناطق الإدارية يعتبر بعضها أقدم أجزاء المدن في منطقة الدراسة، بل هي تعتبر في مدينة كوستي جزءًا من النواة الأولي للعمران. وغالبًا ما ترتبط هذه المناطق إلى حد كبير بالمناطق التجارية وتضمها مجتمعة منطقة الأعمال المركزية. ففيها نجد أن معظم المباني الإدارية تقع في سوق المدينة الرئيسي وبالقرب منه، وهي مباني ضمت بعض الوزارات والإدارات والمصالح المختلفة التي تدار منها شئون المدينة والمحافظة وبعض شئون الولاية.

أما استخدامات الأرض للتعليم في منطقة الدراسة فتوجد منتشرة علي طول وعرض المدينة وبالذات مدارس التعليم الأساسي. ولكن هناك مناطق يكون فيها تركز عدد من المدارس، فتوجد في مدينة كوستي منطقة تجمع مدارس تقع شمال المنطقة العسكرية ومربع (٣٨) وجنوب مربع (٢٤)، وهذا بالإضافة إلى منطقة الجامعة التي تقع غرب مقابر قوز أبي شريف وجنوب مربعات أبو شريف (مدرسة كوستي القوز سابقًا). أما الخدمات الصحية في منطقة الدراسة، فنجد أهمها المستشفيات، فمستشفي كوستي يقع في منطقة الأعمال المركزية.

النتائج والتوصيات

تم في الدراسة استعراض تاريخ النمو الحضري لمدينة كوستي بولاية النيل الأبيض بالسودان، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أهمها:

- تعود نشأة مدينة كوستي إلى بدايات القرن العشرون.
- تغير اسم المدينة ثلاثة مرات في تاريخها، فكانوا يطلقون عليها اسم (غرب زينوبة)، ثم أخذت المدينة اسمًا جديدًا وهو الاسم الرسمي الذي أطلقته عليها السلطات فكانت تسمى (مركز جديد) حتى بعد انتقال الإغريقي كوستا إلى المنطقة في أوائل القرن العشرين. وقد أخذت المدينة رسميًا اسم كوستي واختفت كافة الأسماء التي أطلقت عليها وذلك بالتحديد سنة ١٩١٠.

دورية إلكترونية محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

- يعتبر كوبري كوستي القديم وهو الكوبري الذي شيد لمرور السكك الحديدية ، وخط السكة الحديد الذي ربط مدينة سنار بمدينة الأُبيض عبر مدينة كوستي ، من أهم عوامل انتعاش وازدهار التجارة بالمدينة مما أدي إلى نموها الحضري.
- أيضا يعتبر موقع المدينة علي الضفة اليسرى للنيل الأبيض من عوامل هذا النمو.
- اتضح تاريخ تطور النمو الحضري بالمدينة من مرحلة إلى أخري منذ نشأتها وحتى سنة ٢٠٠١.
- تمددت المدينة شمالاً وجنوبًا وغربًا ، نتيجة للنيل الأبيض وطريق كوستي الأبيض المعبد.
- للمدينة وظائف مختلفة ومتنوعة من سكنية وتجارية وصناعية وزراعية وغيرها.

واعتمادًا علي هذه النتائج ؛ أوصى البحث بضرورة الاهتمام بدراسة تاريخ النمو الحضري الذي سيساعد في التخطيط لمستقبل المدينة ، والتي تمددت شمالاً وجنوبًا وتطورت من فترة لأخرى.

الهوامش:

(1) U.N. 1996
World economic and social Survey, New York.

(٢) فتحي محمد أبو عيانة ، ١٩٩٧
جغرافية العمران ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة.

(٣) المرضى على أحمد ، ١٩٩٤
ديناميكية نمو المدن الصغرى في السودان (دراسة حالة مدينة الدبة)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم.

(٤) نصر الدين إبراهيم شلقامي ، ١٩٩١
كوستى القصة والتاريخ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم.

(٥) شلقامي ، المرجع نفسه ، ص ٣٩.

(٦) التجاني عامر ، ١٩٨٠
النيل الأبيض قديمًا وحديثًا ، دار الصحافة للطباعة والنشر ، الخرطوم.

(٧) عامر ، المرجع نفسه ، ص ١٨٨.

(٨) شلقامي ، المرجع السابق ، ص ٤٦.

(٩) عامر ، المرجع السابق ، ص ١٨٨.

(١٠) محمود عبد اللطيف عصفور ، والسعيد إبراهيم البدوي ، ١٩٧٦
الدراسة الميدانية في جغرافية العمران ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

(١١) عبد الرحمن بن خلدون ، (بدون تاريخ)
مقدمة ابن خلدون ، دار المعارف ، الإسكندرية

(١٢) فتحي محمد مصيلحي ، ١٩٨٤
شخصية المدينة السعودية ، دار الإصلاح ، الدمام.

(١٣) عامر ، المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٤٦.

(١٤) شلقامي ، المرجع السابق ، ص ٣٢.

(١٥) عبد الله على حامد العبادي ، ١٩٨٥
التخطيط العمراني الحضري مشكلاته ومستقبله ، الكتاب الجغرافي السنوي/ السنة الأولى ، العدد الأول ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض.

(١٦) عبد الله على حامد العبادى ، ١٩٨٠
التحضر في جمهورية السودان ، في التحضر في الوطن العربي ، الجزء الثاني ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(١٧) إبراهيم حلمي عبد الرحمن ، ١٩٦٣
العلاقة بين الحضر والتخطيط القومي في الجمهورية العربية المتحدة ، في تخطيط المدن في العالم العربي ، القاهرة.

(١٨) محمد رياض ، ١٩٦٩
دراسة تمهيدية للنمو العمراني وخطة المدينة ، حوليات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثاني عشر.

(١٩) شلقامي ، المرجع السابق ، ص ٤١.

(٢٠) شلقامي ، المرجع السابق ، ص ٤٣.

(٢١) عبد الفتاح محمد وهيبة ، ١٩٧٥.
جغرافية العمران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت.

(٢٢) أحمد على إسماعيل ، ١٩٨٢
دراسات في جغرافية المدن ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة

(٢٣) العبادي ١٩٨٠ ، المرجع السابق ، ص ١٩.

(٢٤) صلاح مازري ، ١٩٦٨
المدينة السودانية الحديثة ، مجلة الدراسات السودانية ، العدد الأول ، المجلد الأول ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم.

الدكتور عبد الرحمن محمد الحسن في سطور:

ماجستير الآداب في الجغرافيا – جامعة الخرطوم ١٩٩٨. دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا - جامعة الخرطوم ٢٠٠٤. - أستاذ بقسم الجغرافيا - كلية التربية - جامعة بخت الرضا. عضو اللجنة القومية للتدريب بوزارة التعليم العالي. عضو منبر أمناء الشؤون العلمية بوزارة التعليم العالي. نائب رئيس هيئة تحرير المجلة العلمية بجامعة بخت الرضا. شارك في عدد من المؤتمرات وورش العمل الوطنية والإقليمية. نُشر له عدد من البحوث والدراسات في مجلات علمية سودانية وعربية.

دورية إلكترونية محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449